

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

العرب لها فإنه قال في أول فصحة : هذا كتابٌ اختير الفصح مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغةٌ واحدة والناس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن ومنه ما فيه لغتان كثرنا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما .
انتهى .

ولا شك في أن ذلك هو مدار الفصاحة .

ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل أحدٍ لا يمكنه الاطِّلاع على ذلك لتَقَادُمِ العهد بزمان العرب فحرَّرُوا لذلك ضابطاً يُعْرَفُ به ما أكثرت العربُ من استعماله من غيره فقالوا : الفصاحةُ في المفرد : خلوصه من تَدَنَافُورِ الحروف ومن الغَرَابَةِ ومن مخالفة القياس اللّغوي .

(التنافر) .

فالتنافورُ منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتَنَاهِيَةً في الثَّقَلِ على اللسان وعُسُورِ النَّطْقِ بها كما رُوي أن أعرابياً سئل عن ناقتة فقال تركتها تَرعى الهُعُوعُوعُ .
ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مُسْتَشْزِرٍ في قول امرء القيس - من الطويل - :
(غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا ...) .

وذلك لتوسُّطِ الشين وهي مَهْمُوسَةٌ رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة .
(الغرابة) .

- والغرابةُ أن تكون الكلمة وحشيَّة لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى أن يُدَقَّرَ عنها في كتب اللغة المبسوطة كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال : ما لكم تَكَاؤُكَاؤُكَاؤُ تُمُّ عَلِيٍّ - تَكَاؤُكَاؤُكُمْ عَلَى ذِي جَنَّةِ افُورَنَفَعُوا عَنِّي أَي اجْتَمَعْتُمْ عَلَيَّ تَنَحَّسُوا